تجزئة فيه. بينما كان الاصرار على تحويل اللغة العبرية من لغة الدين والاشعار الدينية الى لغة قومية ضرورة ملحّة لتثبيت هذا الشعار.

وركّز معظم الكتّاب الصهيونيين على هذا المعنى. مثل شموئيل عجنون، الذي لا يمكن لقارىء استيعابه، فهو خليط معقّد من الطقوس الدينية والغايات السياسية في وقت واحد.

فتاريخياً اقتصرت العبرية ـ ما قبل الصهيونية ـ على الشعر الغنائي الديني بشكل خاص. لقد كان موقفاً دينياً محضاً، «لغة الروح اليهودية حتى العصور التي كفت فيها العبرية عن كونها لغة متكلمة»(١٥).

وبالطبع، لا يمكن الاحاطة التفصيلية بالتحول الذي حدث للعبرية؛ فهناك مفاصل كثيرة ناقشها الباحثون؛ وهناك مفاصل لم تبحث بعد، الّا ان ما يجدر ذكره، في هذا السياق، ان العبرية مرّت بمراحل عديدة حتى أصبحت محصّنة سياسياً، بعد ان كانت لغة دينية فقط. وربما يمكن التقاط بعض ملامح هذا التحوّل في سياقها التاريخي. ففي البداية، كانت مهام اللغة العبرية تقتصر على المساعدة في صياغة الافكار والاجتهادات الدينية. ثمّ وظّف المنظّرون الصهيونيون هذا المظهر الديني، توظيفاً سياسياً، اعتماداً على نصوص وحضارات كانت سائدة في المنطقة. فمن جهة أولى، استعارت العبرية أساطير وحضارات شعوب المنطقة العربية القديمة، واستغلتها كمستند للمطالبة بحقوق إلهية مزعومة، وفرضت هذا التراث، على المجتمع الدولي، كثقافة وكفلسفة دينية. ومن جهة ثانية، استعارت مفردات لغوية ونحوية لاستيلاد لغة خاصة بها على أنها لغة التوراة الاولى، التي لا بد للشعوب الاخرى من الحرص عليها كلغة دينية وثقافة انسانية. ومن جهة ثالثة، استعارت دساتير وفلسفات وايديولوجيات وممارسات عنصرية، آمنت بها وطبّقتها تطبيقاً متطرفاً.

البطل العبري

كانت مهام اللغة العبرية، في الماضي، تقتصر على المساعدة في صياغة الافكار الدينية. ولكن، عندما حوّلت العبرية من لغة دينية الى لغة قومية، كان لهذا التحويل، بالطبع، تأثيره على اللغة الأدبية.

مرّ الأدب الصهيوني في مراحل عدّة، وانعكست عملية التحويل هذه حتى على مفهوم العنصر ـ الفرد في صورة الشخوص الروائية والادبية. فهذا العنصر ـ الفرد البخيل والذليل تحوّل الى صورة المتمرّد الاستفزازي ـ البطل. «كان البطل اليهودي بطلاً متديّناً ومضطهداً عملياً، خلال قرون طويلة، امتدت بين انهيار الدويلة اليهودية القديمة في بعض أراضي فلسطين، وبين ولادة طلائع الحركة الصهيونية، وفور ان تبدأ ارهاصات هذه الولادة، ينبثق (البطل العبري) ليوظف نفسه كنسخة عن أبطال العهد القديم الاسطوريين، ولكن من دون إله وأقدار ومن دون أهداف دينية ـ معيّنة، بل مطلقة ـ، وهكذا يضحى في نظرة موضوعية مضحكاً (دونكشوتيا): انه يمثّل القوة المطلقة، والبياض المطلق»(١٦).

لقد تحوّل من بطل ديني. بمعنى التصوف والتمسّك بالاستقامة، الى بطل سياسي ـ عسكري، ومع ذلك فهو لا يستطيع التخلّص من جذوره الميثولوجية العتيقة. وهو، أيضاً، لا يستطيع التخلّص من ذكرى ممارسات النازية عليه.